من هم العلماء الربانيون؟

جمع:

أ. هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، من بعثه الله معلماً، وجعله نذيراً وبشيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وأمره بالازدياد من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أخبر بأهل خشيته مرشداً إلى طريقهم فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

وأمر عباده بالرجوع إليهم فيما جهلوه أو أشكل عليهم فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، رفع الله سبحانه في الآية الكريمة قدر العلماء، وجعل منزلتهم عالية؛ لشرف ما يحملونه من علم شرعي، وهم ورثة الأنبياء.

فالعلماء هم ورثة الأنبياء، وقدوة الأتقياء، بهم تستضيء البلدان، ويدعى إلى الإيمان، ويدل على الرحمن، أكثر الناس خشية للعلام، وأكثرهم بركة على الإسلام، خصوا باستنباط الأحكام، وعنوا بضبط الحلال والحرام، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وهذه الصفات لا تنطبق إلا على العلماء الربانيين، والعلماءُ الرَّبانيون هم (النُّجوم المضيئةُ) في سماء هذا العالِمِ؛ فبهم يهتدي النَّاسُ في مساربِ هذه الحياةِ؛ فإذا غابوا أو غُيِّبوا سادَ الظلامُ الدَّامسُ أرجاء الأرض، وتخبَّطَ الخلقُ في دياجيرِ الظلمةِ؛ فلا يعرفونَ طريقاً، ولا يهتدونَ سبيلاً.

كُلَّما عصفتْ بالأُمَّةِ رياحُ الفتنِ العاتيةِ، وضَربتْ بها أعاصيرُ المحنِ القاسيةِ؛ عَظُمتْ الضَّرورةُ إلى هذا الطراز الفريدِ من أهل العلمِ، وصارتْ الأُمَّةُ في مسيس الحاجة إليهِ.

ولا يخفى ما في الكتاب والسنة من الأدلة التي تبلغ العشرات في فضل العلم الشرعي بالكتاب والسنة، وفضل أهله الذين هم أهله حقيقة، وما لهم من المرتبة العلية في الدنيا والآخرة، وأحببت أن تكون محاضرتي هذه مجيبة عن تساؤلات مهمة جداً، وهي:

العلماء الربانيون:

-من هم؟

-وما هي صفاتهم؟

-ومدى الحاجة إليهم والصدور عنهم؟

-وضرورة التفريق والفرقان بينهم وبين غيرهم ممن تشبه بهم وليس منهم.

ولهذا قبل الدخول في صلب الموضوع وهو: **"من هم العلماء الربانيون"**

أقدم بمقدمتين:

الأولى: في ذكر بعض الأدلة في فضل العلم وأهله من القرآن والسنة.

والثانية: في معنى هاتين الكلمتين: "العلم" و "الرباني".

ثم أذكر ما تيسر من الصفات التي يكون عليها أهل العلم.

أما المقدمة الأولى:

فقد قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:٩].

ويوم القيامة يتكلم أهل العلم بالحق كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٥-٥٦].

وبين الله تعالى أن أهل العلم الحقيقين هم صمام أمان للمجتمعات من فتن الشهوات والشبهات:

أما أسباب الهلاك من الشهوات؛ فقال في قصة قارون: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص:٨٠].

قال الإمام ابن بطة رحمه الله: "وَوَصَفَ قَارُونَ وَخُرُوجَهُ فِي زِينَتِهِ وَمُبَاهَاتَهُ لِأَهْلِ عَصْرِهِ بِمَا أُوتِيَهُ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا ، وَغِبْطَةِ الْجَاهِلِينَ لَهُ الْمُرِيدِينَ مِنْهَا مِثْلَ إِرَادَتِهِ وَتَأَسُّفَهُمْ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ ، ثُمَّ دَلَّ عَلَى فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَإِصَابَتِهِمُ الصَّوَابَ بِعُزُوفِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ مُلْكِهِ وَزِينَتِهِ وَرِضَاهُمْ بِمَا فَهَمُّوا عَنِ اللَّهِ ، وَتَصْدِيقِهِمْ لَهُ فِيمَا وَعَدَ مِنْ جَزِيلِ ثَوَابِهِ وَحُسْنِ مَآبِهِ لِمَنْ آمَنَ بِذَلِكَ وَرَضِيَ بِهِ"(١)

وقال سبحانه وتعالى في فتن الشبهات على الحق: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد:١٩].

وذكر الله صفة عظيمة لهم، هي فرقان بينهم وبين أهل الزيغ والفتن الذين يتبعون المتشابه من القرآن والحديث -وما أكثرهم في هذا الزمان- فوجب الحذر بل والتحذير كما أمر النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:٧].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»(٢).

وذكر من صفاتهم صفة عظيمة فارقة بين من علمُهُ صادق نافع له ولغيره، وبين من علمُهُ علم لسان لا علم قلب فصار حجة عليه لا له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

---

(١) إبطال الحيل لابن بطة (ص١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٥).

قال الإمام ابن باز رحمه الله: "هذه الآية آية عظيمة، وهي تدل على أن العلماء -وهم العلماء بالله والعلماء بدينه وبكتابه العظيم وسنة رسوله الكريم- هؤلاء هم أشد الناس خشية لله، وهم أكمل الناس خشية لله، فالمعنى (إنما يخشى الله) يعني: الخشية الكاملة، هم العلماء بالله الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته سبحانه وعظيم حقه، وتبصروا في شريعته، وعرفوا ما عنده من النعيم لمن اتقاه، وما عنده من العذاب لمن عصاه وخالف أمره، فهم لكمال علمهم بالله وكمال بصيرتهم بحقه هم أشد الناس خشية لله، هم أكمل الناس خوفًا من الله، وخشية له سبحانه وتعالى، وليس معناه أنه لا يخشى الله إلا العلماء؛ لا، فكل مسلم يخشى الله، كل مؤمن ومؤمنة يخشى الله، كل مؤمن يخشى الله، كل مؤمنة تخشى الله وتخاف الله، المسلمون كلهم يخافون الله، لكنَّ الخوف متفاوت، ليسوا على حدٍّ سواء، فكل ما كان المؤمن أبصر بالله وأعلم بالله كان خوفه لله أكثر، وهكذا المؤمنة كلما كانت أعلم بالله وأعلم بصفاته وعظيم حقه كان خوفها من الله، وكان خشيتها لله أكمل من غيرها، وكلما قل العلم وقلت البصيرة قل الخوف من الله وقلت الخشية لله سبحانه وتعالى، فالناس متفاوتون في هذا الباب، حتى العلماء متفاوتون، كلما كان العالم أقوم بحق الله، وكلما كان العالم أعلم بالله وبدينه، وأعلم بأسمائه وصفاته؛ صارت خشيته لله أكمل، وكلما نقص العلم؛ نقصت الخشية لله، ولكن جميع المؤمنين والمؤمنات كلهم يخشون الله سبحانه وتعالى على حسب علمهم ودرجاتهم في الإيمان، مُقِل ومُستَكثِر، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧-٨]. ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك:١٢]، فهم مأجورون على خشيتهم لله وإن كانوا غير علماء وإن كانوا من العامة، لكن الكمال في الخشية يكون للعلماء؛ لكمال بصيرتهم وكمال علمهم بالله، تكون خشيتهم لله أعظم، وبهذا يتضح معنى الآية وأن معناها: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ} يعني: الخشية الكاملة، الخشية الكاملة العظيمة إنما تكون من أهل العلم بالله، وأهل البصيرة الذين عظموا الله،

وعظموا حقه، وعرفوا صفاته وأسماءه، فهم أكمل الناس خشية لله سبحانه وتعالى، وبقية المؤمنين والمؤمنات هم على حسب علمهم وتقواهم في الخشية لله والخوف منه سبحانه وتعالى"[1].

أما الاحاديث فكثيرة جداً:

فعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[2].

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: "فِي هَذَا الْحَدِيثِ بَيَانٌ وَاضِحٌ أَنَّ الْعُلَمَاءَ الَّذِينَ لَهُمُ الْفَضْلُ الَّذِي ذَكَرْنَا؛ هُمُ الَّذِينَ يُعَلِّمُونَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ الْعُلُومِ، أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: "الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ" وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يُوَرِّثُوا إِلَّا الْعِلْمَ، وَعِلْمُ نَبِيِّنَا ﷺ سُنَّتُهُ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا لم يكن من ورثة الأنبياء"[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَكْرَمُهُمْ أَتْقَاهُمْ» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْس عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْس عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَخِيَارُكُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا»[4].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/٣٦٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٣٦٤١)، والترمذي في جامعه برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه في سننه برقم (٢٢٣)، وأحمد في المسند برقم (٢١٧١٥)، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٨)، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٢٩٧).

(٣) صحيح ابن حبان (١/٢٩١).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ١٤٧) (٣٣٧٤) ومسلم (٢٣٧٨).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»(١).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الكِتَابَ، وَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَرَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يَتَصَدَّقُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»(٢).

وقَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ ﷺ خَطِيبًا يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»(٣).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وَفِي ذَلِكَ بَيَانٌ ظَاهِرٌ لِفَضْلِ الْعُلَمَاءِ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ وَلِفَضْلِ التَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ"(٤).

لماذا الموضوع؟

ولا شك أن لهذا الموضوع أهمية بالغة، وأذكر من أسباب أهميته أمرين:

الأمر الأول: أنه قد جاء الخبر النبوي الصحيح المتضمن التحذير لنا والتنبيه بأنه سيتصدر أناس ويصيرون رؤوساً يُسألون فيفتون في العقائد والحلال والحرام والدماء والأعراض بغير علم ولا هدى، فيَضِلُّونَ هُم، ويَضِلُّ الناسُ بضلالهم.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٥).

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٥)(٧٣)ومسلم(٨١٦).

(٢) صحيح البخاري (٦/ ١٩١) (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٢٥) (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٦٥).

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (١٠٠)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٧٣).

قال الشَّعبي رحمه الله: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَصِيرَ الْعِلْمُ جَهْلًا، وَالْجَهْلُ عِلْمًا"، قال ابن رجب رحمه الله معلقاً: "وَهَذَا كُلُّهُ مِنِ انْقِلَابِ الْحَقَائِقِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَانْعِكَاسِ الْأُمُورِ"(١).

وهؤلاء المتصدرون المتشبهون بأهل العلم الراسخين الصادقين –وليسوا كذلك–؛ هم من أشر الناس، وأضرهم على الناس.

قال ابن القيم رحمه الله: "وَسَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَةَ يَقُولُ: كَمَا أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ الْأَنْبِيَاءُ فَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَخَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُمُ الْعُلَمَاءُ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصِّدِّيقُونَ، وَالْمُخْلِصُونَ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ يُوهِمُ أَنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ"(٢).

وقال أيضاً: "وكما أنَّ خيار خلق الله هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون؛ فشرار الخلق من تشبه بهم وليس منهم، فمن تشبه بأهل الصدق والإخلاص وهو مُراءٍ؛ كمن تشبه بالأنبياء وهو كاذب"(٣).

قال شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الستة: "الأصل الرابع: بيان العلم والعلماء، والفقه والفقهاء، وبيان من تشبه بهم وليس منهم، وقد بين الله هذا الأصل في أول سورة البقرة من قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠] إلى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧]، ويزيده وضوحاً ما صرحت به السنة في هذا الكلام الكثير البين الواضح للعامي البليد، ثم صار هذا أغرب الأشياء، وصار العلم والفقه هو البدع والضلالات، وخيار ما عندهم لبس الحق بالباطل، وصار العلم الذي فرضه الله تعالى على الخلق ومدحه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون، وصار من أنكره وعاداه وصنف في التحذير منه والنهي عنه هو الفقيه العالم"(٤).

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "إذا تبين ذلك فلابد من معرفة من هم العلماء حقاً، **هم الربانيون الذين يربون الناس على شريعة ربهم حتى يتميز هؤلاء الربانيون عمن تشبه بهم وليس منهم**، يتشبه بهم في المظهر والمنظر والمقال والفعال، لكنه ليس منهم في النصيحة للخلق

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٤٠).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص: ٣٤).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٦٤).

(٤) شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة (ص: ١٣٠).

وإرادة الحق، فخيار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل ويصوغه بعبارات مزخرفة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، بل هو البدع والضلالات الذي يظنه بعض الناس هو العلم والفقه وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون. هذا معنى كلام المؤلف –رحمه الله– وكأنه يشير إلى أئمة أهل البدع المضلين الذين يلمزون أهل السنة بما هم بريئون منه ليصدوا الناس عن الأخذ منهم، وهذا إرث الذين طغوا من قبلهم وكذبوا الرسل"[(١)].

الأمر الثاني: أن الله تعالى قد أمرنا رجالاً ونساءً بسؤال أهل العلم عما جهلناه أو أشكل علينا من أمر ديننا، فإذا لم نعرف التمييز والفرق بين العلماء الحقيقيين الصادقين الربانيين، وبين غيرهم ممن لا يصلح أن يؤخذ عنه الدين، وقد صح عن عدد من السلف وصية عظيمة في هذا الباب، فعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رحمه الله أنه قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[(٢)].

فإذا اجتمع الأمر من الله لنا بالسؤال مع خفاء صفات من تنطبق عليه الصفات ووجود الرؤساء الجهال؛ فتصوروا كم سيكون الضلال وتغيير معالم الدين، وهل دخلت الفتن إلا من هذا الباب لما رجع الناس إلى كل من هب ودب، وكل متكلم ومتحدث وخطيب بليغ الخطابة فظنوه عالماً والله المستعان، فوقع ما قاله رسول الله ﷺ حيث قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[(٣)].

قال ابن حجر رحمه الله: "وَمُنَاسَبَةُ هَذَا الْمَتْنِ لِكِتَابِ الْعِلْمِ؛ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَمْرِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَرَفْعِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَاطِ، وَمُقْتَضَاهُ أَنَّ الْعِلْمَ مَا دَامَ قَائِمًا فَفِي الْأَمْرِ فُسْحَةٌ، وَكَأَنَّ الْمُصَنِّفَ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْعِلْمَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ عَنِ الْأَكَابِرِ تَلْمِيحًا لِمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الْجُمَحِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ»[(٤)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٤).

(٣) صحيح البخاري (١/ ٢١) ٥٩.

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/ ١٤٣).

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: "الْأَصَاغِرُ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ"[1].

قَالَ نُعَيْمٌ: "قِيلَ لِابْنِ الْمُبَارَكِ: مَنِ الْأَصَاغِرُ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَقُولُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَأَمَّا صَغِيرٌ يَرْوِي عَنْ كَبِيرٍ فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ، وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْخَبَرِ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ بِالْأَصَاغِرِ إِلَى أَهْلِ الْبِدَعِ وَلَا يَذْهَبُ إِلَى السِّنِّ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَهَذَا وَجْهٌ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالَّذِي أَرَى أَنَا فِي الْأَصَاغِرِ أَنْ يُؤْخَذَ الْعِلْمُ عَمَّنْ كَانَ بَعْدَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَاكَ أَخْذُ الْعِلْمِ عَنِ الْأَصَاغِرِ"[2].

أعود وأقول: إن الله أمرنا بالسؤال فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

فمن هم أهل الذكر؟

الذكر: القرآن كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

والذكر السنة كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وهنا كلمات نيرة لشيخ الإسلام في هذا العصر الإمام ابن باز حول هذه الآية الكريمة انقلها لفائدتها.

قال رحمه الله: "وسؤال أهل العلم عما أشكل على الرجل والمرأة من أحكام الدين، لقول الله عز وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾"[3].

وقال أيضاً: "ويسأل أهل العلم المعروفين بالاستقامة وفضل العلم حتى يحتاط لدينه، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وأهل الذكر هم أهل العلم بالكتاب والسنة، **فلا يسأل من يتهم في دينه، أو لا يعرف علمه، أو يعرف بأنه منحرف عن جادة أهل السنة**"[4].

وقال رحمه الله: "وإنما العلماء هم العلماء بالكتاب والسنة، المعروفون **الذين يتبعون الكتاب والسنة**، فعلى العامي أن يسأل هؤلاء الذين عرفوا الكتاب والسنة عما أشكل عليه، مثل أن يسألهم ما تقولون في دعوة فلان الذي يقول كذا ويقول كذا، حتى يتبصر ويعرف الحق،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٩٥).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٥/ ٢١٩).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٥٠).

كما قال الله سبحانه: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، **وهم أهل العلم بكتاب الله وسنة رسوله، أما أهل البدعة فليسوا من أهل الذكر، والدعاة إلى البدعة ليسوا من أهل الذكر أيضا**"(١).

وقال أيضاً: "كما أنني أوصي إخواني المسلمين جميعا أن يتفقهوا في الدين وأن يسألوا أهل العلم **المعروفين بحسن العقيدة والسيرة** عما أشكل عليهم، والمسلم يجب عليه أن يستفيد من أهل العلم ويسألهم عما أشكل عليه، مبتغياً في ذلك مرضاة الله سبحانه وتعالى، عملاً بقول الله جل وعلا: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾"(٢).

فمن مجموع كلامه رحمه الله تظهر لنا **بعض صفات** أهل الذكر العلماء الربانيين:

١-العلم بالكتاب والسنة.

٢-حسن السيرة في العمل بهما.

٣-حسن العقيدة وسلامتها.

٤-البعد عن البدع والأهواء، فأهل البدع ليسوا داخلين في أهل العلم ولا أهل الذكر.

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه(٣) بَابُ: "قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِلُزُومِ الجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ"، ثم روى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، يَا رَبِّ، فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُجَاءُ بِكُمْ، فَتَشْهَدُونَ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ -قَالَ: عَدْلًا- ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾.

قال ابن حجر رحمه الله: "وَحَاصِلُ مَا فِي الْآيَةِ الِامْتِنَانُ بِالْهِدَايَةِ وَالْعَدَالَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُ وَمَا أَمَرَ إِلَى آخِرِهِ فَمُطَابَقَتُهُ لِحَدِيثِ الْبَابِ خَفِيَّةٌ وَكَأَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ وَهِيَ الْعَدَالَةُ لَمَّا كَانَتْ تَعُمُّ الْجَمِيعَ لِظَاهِرِ الْخِطَابِ أَشَارَ إِلَى أَنَّهَا مِنَ الْعَامِّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخَاصُّ أَوْ مِنَ الْعَامِّ

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٢١-١٢٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ١٩٩).

(٣) صحيح البخاري (٩/ ١٠٧) ٧٣٤٩.

الْمَخْصُوصِ **لِأَنَّ أَهْلَ الْجَهْلِ لَيْسُوا عُدُولًا وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْبِدَعِ فَعُرِفَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَصْفِ الْمَذْكُورِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ** وَمَنْ سِوَاهُمْ وَلَوْ نُسِبَ إِلَى الْعِلْمِ فَهِيَ نِسْبَةٌ صُورِيَّةٌ لَا حَقِيقِيَّةٌ"[١].

ثانياً:

-**العلم**: تعريفه الذي دلت عليه الأدلة ونطقت به كلمات الأئمة هو: "معرفة الحق والهدى بالدليل". وهو علم الكتاب والسنة وآثار الصحابة الكرام.

قال ابن القيم رحمه الله: "قَالَ أَبُو عُمَرَ -يعني ابن عبدالبر- وَغَيْرُهُ مِنْ الْعُلَمَاءِ: أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ الْمُقَلِّدَ لَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَأَنَّ الْعِلْمَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِدَلِيلِهِ"[٢].

وقال: "قَدْ تَضَمَّنَ هَذَانِ الْإِجْمَاعَانِ إخْرَاجَ الْمُتَعَصِّبِ بِالْهَوَى وَالْمُقَلِّدِ الْأَعْمَى عَنْ زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ، وَسُقُوطَهُمَا بِاسْتِكْمَالِ مَنْ فَوْقَهُمَا الْفُرُوضَ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ «الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ وَرَثَةِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ يَجْهَدُ وَيَكْدَحُ فِي رَدِّ مَا جَاءَ بِهِ إلَى قَوْلِ مُقَلِّدِهِ وَمَتْبُوعِهِ، وَيُضَيِّعُ سَاعَاتِ عُمْرِهِ فِي التَّعَصُّبِ وَالْهَوَى وَلَا يَشْعُرُ بِتَضْيِيعِهِ تَاللَّهِ إنَّهَا فِتْنَةٌ عَمَّتْ فَأَعْمَتْ، وَرَمَتْ الْقُلُوبَ فَأَصْمَتْ، رَبَا عَلَيْهَا الصَّغِيرُ، وَهَرِمَ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَاُتُّخِذَ لِأَجْلِهَا الْقُرْآنُ مَهْجُورًا، وَكَانَ ذَلِكَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَلَمَّا عَمَّتْ بِهَا الْبَلِيَّةُ، وَعَظُمَتْ بِسَبَبِهَا الرَّزِيَّةُ، بِحَيْثُ لَا يَعْرِفُ أَكْثَرُ النَّاسِ سِوَاهَا، وَلَا يَعُدُّونَ الْعِلْمَ إلَّا إيَّاهَا، فَطَالِبُ الْحَقِّ مِنْ مَظَانِّهِ لَدَيْهِمْ مَفْتُونٌ، وَمُؤْثِرُهُ عَلَى مَا سِوَاهُ عِنْدَهُمْ مَغْبُونٌ"[٣].

وقال رحمه الله: "والعلم معرفة الهدى بدليله... ما ذاك والتقليد مستويان"[٤].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣١٦)

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/ ٦)

(٣) المصدر السابق.

(٤) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٩٩).

العلم السنة:

قال البربهاري رحمه الله: "واعلم -رحمك الله- أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، إنما العالم من اتبع العلم والسنن، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير العلم والكتب"[(١)].

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: "ولا يغرن إخواني -حفظهم الله- كثرة أهل البدع ووفور عددهم، فإن وفور أهل الباطل وقلة عدد أهل الحق من علامات اقتراب يوم الحق؛ إذ الرسول المصطفى ﷺ قال: «إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل»، **والعلم: هو السنة، والجهل: هو البدعة**"[(٢)].

ولا يكفي العلم بالحق، فلا بد من قصده وإرادته وإيثاره على غيره، فكم من عالم بالحق علمه حجة عليه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وَالْهِدَايَة هِيَ الْعلم بِالْحَقِّ مَعَ قَصده وإيثاره على غَيره، فالمهتدي هُوَ الْعَامِل بِالْحَقِّ المريد لَهُ، وَهِي أعظم نعْمَة لله على العَبْد، وَلِهَذَا أمرنا سُبْحَانَهُ أن نَسْأَلهُ هِدَايَة الصِّرَاط الْمُسْتَقيم كل يَوْم وَلَيْلَة فِي صلواتنا الْخمس، فَإِن العَبْد مُحْتَاج إلى معرفَة الْحق الَّذِي يرضي الله فِي كل حَرَكَة ظاهرة وباطنة، فَإِذا عرفهَا فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى من يلهمه قصد الْحق، فَيجْعَل إِرَادَته فِي قلبه، ثمَّ إِلَى من يقدره على فعله، وَمَعْلُوم أن مَا يجهله العَبْد أضعاف أضعاف مَا يُعلمهُ، وَإِن كل مَا يعلم أنه حق لَا تطاوعه نَفسه على إرادته، وَلَو أراده لعجز عَن كثير مِنْهُ، فَهُوَ مُضْطَر كل وَقت إِلَى هِدَايَة تتَعَلَّق بالماضي وبالحال والمستقبل، **أما الْمَاضِي** فَهُوَ مُحْتَاج إِلَى محاسبة نَفسه عَلَيْهِ، وَهل وَقع على السداد فيشكر الله عَلَيْهِ ويستديمه، أم خرج فِيهِ عَن الْحق فيتوب إِلَى الله تَعَالَى مِنْهُ ويستغفره ويعزم على أن لَا يعود، **وَأما الْهِدَايَة فِي الْحَال** فَهِيَ مَطْلُوبَة مِنْهُ، فَإِنَّهُ ابْن وقته، فَيحْتَاج أن يعلم حكم مَا هُوَ متلبس بِهِ من الأفعال هَل هُوَ صَوَاب أم خطأ؟ **وَأما الْمُسْتَقْبل** فحاجته فِي الْهِدَايَة أظهر لِيَكُون سيره على الطَّرِيق"[(٣)].

---

(١) شرح السنة للبربهاري (ص: ٩٩).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٢٤).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٨٣).

الربانيون:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ "[١].

وَقَوْلُهُ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾:

عَنْ ابن عباس وأَبِي رَزِينٍ: "كُونُوا حُكَمَاءَ عُلَمَاءَ"[٢].

وعَنِ الْحَسَنِ وقَتَادَةَ والضحاك: "كُونُوا فُقَهَاءَ عُلَمَاءَ"[٣].

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "فُقَهَاءَ"[٤].

وعَنْ مُجَاهِدٍ –أيضاً– قَالَ: "الرَّبَّانِيُّونَ: الْفُقَهَاءُ الْعُلَمَاءُ، وَهُمْ فَوْقَ الْأَحْبَارِ"[٥].

وعَنِ السُّدِّيِّ: "أَمَّا الرَّبَّانِيُّونَ: فَالْحُكَمَاءُ الْفُقَهَاءُ"[٦].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: "حُكَمَاءَ أَتْقِيَاءَ"[٧].

وَقَالَ آخَرُونَ: "بَلْ هُمْ وُلَاةُ النَّاسِ وَقَادَتُهُمْ"[٨].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطبري رحمه الله: "وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ عِنْدِي بِالصَّوَابِ فِي الرَّبَّانِيِّينَ أَنَّهُمْ جَمْعُ رَبَّانِيٍّ، وَأَنَّ الرَّبَّانِيَّ الْمَنْسُوبُ إِلَى الرَّبَّانِ: الَّذِي يَرُبُّ النَّاسَ، وَهُوَ الَّذِي يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَيَرُبُّهَا، وَيَقُومُ بِهَا" إلى أن قال: "فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا وَصَفْنَا، وَكَانَ الرَّبَّانُ مَا ذَكَرْنَا، وَالرَّبَّانِيُّ: هُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَى مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفْتُ، وَكَانَ الْعَالِمُ بِالْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ مِنَ الْمُصْلِحِينَ، يَرُبُّ أُمُورَ النَّاسِ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُمُ الْخَيْرَ، وَدُعَائِهِمْ إِلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَكَانَ كَذَلِكَ الْحَكِيمُ التَّقِيُّ

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٢٥).

(٢) تفسير الطبري (٦/٥٤٠).

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الطبري (٦/٥٤١).

(٥) تفسير الطبري (٦/٥٤٢).

(٦) تفسير الطبري (٦/٥٤١).

(٧) تفسير الطبري (٦/٥٤٢).

(٨) تفسير الطبري (٦/٥٤٣).

لِلَّهِ، وَالْوَلِيُّ الَّذِي يَلِي أُمُورَ النَّاسِ عَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي وَلِيَهُ الْمُقْسِطُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ أُمُورَ الْخَلْقِ بِالْقِيَامِ فِيهِمْ، بِمَا فِيهِ صَلَاحُ عَاجِلِهِمْ وَآجِلِهِمْ، وَعَائِدَةُ النَّفْعِ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؛ كَانُوا جَمِيعًا مُسْتَحِقِّينَ أَنَّهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾. فَالرَّبَّانِيُّونَ إِذًا، هُمْ عِمَادُ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْعِلْمِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: (وَهُمْ فَوْقَ الْأَحْبَارِ)؛ لِأَنَّ الْأَحْبَارَ هُمُ الْعُلَمَاءُ. وَالرَّبَّانِيُّ: الْجَامِعُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ الْبَصَرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْقِيَامِ بِأُمُورِ الرَّعِيَّةِ، وَمَا يُصْلِحُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ"[1].

وقال القرطبي: "فَمَعْنَى الرَّبَّانِيِّ **الْعَالِمُ بِدِينِ الرَّبِّ الَّذِي يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ**"[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَأَحَدُهُمْ رَبَّانِيٌّ وَهُمْ الْعُلَمَاءُ الْمُعَلِّمُونَ. قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَحْسَبُ الْكَلِمَةَ عِبْرَانِيَّةً أَوْ سُرْيَانِيَّةً وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ زَعَمَ أَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الرَّبَّانِيِّينَ. قُلْتُ: اللَّفْظَةُ عَرَبِيَّةٌ مَنْسُوبَةٌ إلَى رَبَّانِ السَّفِينَةِ الَّذِي يَنْزِلُهَا وَيَقُومُ لِمَصْلَحَتِهَا وَلَكِنَّ الْعَرَبَ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ رَبَّانِيُّونَ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى شَرِيعَةٍ مُنَزَّلَةٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ."[3].

وَقَالَ أَبو عمر الزَّاهِد: "سَأَلت ثعلباً عَن هَذَا الْحَرْف وَهُوَ الرباني فَقَالَ: سَأَلت ابْن الأعرابي فَقَالَ: إِذا كَانَ الرجل عَالماً عَاملاً معلماً قيل لَهُ هَذَا رباني، فَإِن خرم عَن خصْلَة مِنْهَا لم نقل لَهُ رباني"[4].

فظاهر من هذا الكلمة أنها تقتضي:

العلم، والعمل به، وتربية الناس عليه.

قال ابن عثيمين رحمه الله: "لأن العلم بدون تربية قد يكون ضرره أكثر من نفعه، لكن مع التربية يكون العلم مؤدياً لنتيجته المقصودة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ

---

(١) تفسير الطبري (٦/٥٤٣).

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ١٢٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١/ ٦٢).

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٢٤).

الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، هذه فائدة العلم أن يكون الإنسان ربانياً، بمعنى مربياً لعباد الله على شريعة الله"[١].

وقال السجزي رحمه الله: " فأئمة الحق: هم المتبعون لكتاب ربهم سبحانه، المقتفون سنة نبيهم ﷺ، المتمسكون بآثار سلفهم الذين أُمروا بالاقتداء بهم"[٢].

ثم ذكر ما يتسلحون به من أنواع العلم وفنونه، ثم قال:" فإذا تقدم واحد في هذه العلوم، وكان أخذه إياها ممن علم تقدمه فيها، وكونه متبعاً للسلف مجانباً للبدع حكم بإمامته، واستحق أن يؤخذ عنه ويرجع إليه ويعتمد عليه.

ثم يلزمه في الأداء: التحفظ من الزلل، والتحرز من الإحداث والتوقي عن مجاوزة ما أحاط به علمه، وقبول ما يتجه له من الصواب، وإن أتاه ذلك ممن هو دونه، والتواضع لله سبحانه الذي من عليه بما علمه، واللين لمن يتعلم منه، والجري على طريقة من تقدم من العلماء في التورع والتخوف من العثرة، والعلم بأنه ليس بمعصوم، وأن الذي صار إليه من العلم يسير، وإن حرمه خلق الله كثير، والذين كانوا على هذا المنهاج بعد الصحابة الذين فازوا بالسبق والسؤدد، وظفروا بالحظ الأوفر من كل خير، واشتركوا في الإمامة، والعدالة، وكان بينهم تفاضل، وتقارب رضي الله عنهم هم التابعون لهم بإحسان، وهم خلق كثير، لم يخالفوا طريقة الصحابة ولم يحدثوا في الدين حدثاً"[٣].

ولقد عني العلماء قديماً وحديثاً بهذا الأمر العظيم، وأولوه عنايتهم وكلامهم في هذا كثير منتشر.

وممن ألَّف فيه الإمام الآجري رحمه الله كتابه: "أخلاق العلماء"، قال في مقدمته: "لِهَذَا الْعَالِمِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّى، وَمَقَامَاتٌ لَابُدَّ لَهُ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا، فَهُوَ مُسْتَعْمِلٌ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ. فَلَهُ صِفَةٌ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: كَيْفَ يَطْلُبُهُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ فَيُلْزِمَهُ نَفْسَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا جَالَسَ الْعُلَمَاءَ: كَيْفَ يُجَالِسُهُمْ؟ وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٥٠٤).

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٣١٣-٣١٧).

(٣) المصدر السابق.

الْعُلَمَاءِ: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيفَ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا نَاظَرَ فِي الْعِلْمِ: كَيْفَ يُنَاظِرُ؟ وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا أَفْتَى النَّاسَ: كَيْفَ يُفْتِي؟ وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يُجَالِسُ الْأُمَرَاءَ ، إِذَا ابْتُلِيَ بِمُجَالَسَتِهِمْ؟ وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَالِسَهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؟ وَلَهُ صِفَةٌ عِنْدَ مُعَاشَرَتِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ. وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ؟ قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُهُ مَا يُقَوِّيهِ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، وَقَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا فِي دِينِهِ، عَالِمٌ بِمَا يَجْتَلِبُ بِهِ الطَّاعَاتِ، عَالِمٌ بِمَا يَدْفَعُ بِهِ الْبَلِيَّاتِ، قَدِ اعْتَقَدَ الْأَخْلَاقَ السَّنِيَّةَ، وَاعْتَزَلَ الْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ"[1].

وقال رحمه الله: "ذِكْرُ صِفَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَمِنْ صِفَتِهِ لِإِرَادَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْهِ عِبَادَتَهُ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِلْمٍ، وَعَلِمَ أَنَّ الْعِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَيْهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَهْلُ، فَطَلَبَ الْعِلْمَ لِيَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ الْجَهْلَ ، وَلِيَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا أَمَرَهُ، لَيْسَ كَمَا تَهْوَى نَفْسُهُ. فَكَانَ هَذَا مُرَادَهُ فِي السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، مُعْتَقِدًا لِلْإِخْلَاصِ فِي سَعْيِهِ، لَا يَرَى لِنَفْسِهِ الْفَضْلَ فِي سَعْيِهِ، بَلْ يَرَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْفَضْلَ عَلَيْهِ، إِذْ وَفَّقَهُ لِطَلَبِ عِلْمِ مَا يَعْبُدُهُ بِهِ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ"[2].

ثم ذكر باقي صفاته في طلبه وتعلمه وتعليمه فليراجعه من أراد الاستزادة.

ومنهم الحافظ الكبير ابن عبد البر ألَّف كتابه: "جامع بيان العلم وفضله"، ضمنه أبواباً كثيرة في صفات العلماء حقاً وصدقاً.

والحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه: "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، ضمنه من الصفات المميزة للعالم الرباني من غيره، وما يجب أن يكون عليه في العلم والعمل ونشره بين الناس.

وممن ألَّف في ذلك الإمام ابن بطة في رسالته الفريدة "إبطال الحيل"، روى في أولها عدداً طيباً مباركاً من الآثار عن السلف في بيان من هم أهل العلم حقاً وأرباب الفقه صدقاً.

قال في مقدمته: "وَأَبْدَأُ قَبْلَ الْجَوَابِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ بِذِكْرِ صِفَةِ الْفَقِيهِ الَّذِي يَجُوزُ تَقْلِيدُهُ وَالْفَزَعُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْمُشْكِلَاتِ، وَالِانْقِيَادُ إِلَى طَاعَتِهِ عِنْدَ نُزُولِ الْمُعْضِلَاتِ وَحُلُولِ الشُّبُهَاتِ، ثُمَّ

---

(١) أخلاق العلماء للآجري (ص: ٤٦).

(٢) أخلاق العلماء للآجري (ص: ٤٧).

أُتْبِعُ ذَلِكَ بِالْجَوَابِ عَمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ هَذَا الِاسْمَ قَدْ كَثُرَ الْمُتَسَمُّونَ بِهِ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ وَكَافَّتِهِمْ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الْبَصَائِرَ قَدْ عُشِيَتْ، وَالْأَفْهَامَ قَدْ صَدَأَتْ وَأُبْهِمَتْ عَنْ مَعْنَى الْفِقْهِ مَا هُوَ؟ وَالْفَقِيهُ مَنْ هُوَ؟ فَهُمْ يُعَوِّلُونَ عَلَى الِاسْمِ دُونَ الْمَعْنَى، وَعَلَى الْمَنْظَرِ دُونَ الْجَوْهَرِ"(١).

فإذا كان هذا كلامه في اختلاط الأمور وهو المتوفى (عام ٣٨٧هـ) أي قبل ألف عام؛ فماذا عسانا نقول نحن!

ثم قال رحمه الله: "وَلِهَذَا الْفَقِيهِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا صِفَاتٌ وَعَلَامَاتٌ وَصَفَهَا الْعُلَمَاءُ، وَأَبَانَتْ عَنْ حَقَائِقِهَا الْعُقَلَاءُ، فَمِنْ صِفَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ:"(٢).

وسأختصر ما ذكره ورواه، بل واقتصر على بعضه خشيت التطويل، ولا تستطيلوا هذا الفصل والنقل؛ فإنه لبّ الموضوع، وهو من أهم الأمور وأولاها بالعناية والفهم.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ، كُلِّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يَدَعِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ".

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاللَّهِ جَهْلًا».

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ: «لَيْسَ الْعِلْمُ لِلْمَرْءِ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ».

وقال عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: «إِنَّ الْفِقْهَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ السَّرْدِ وَسَعَةِ الْهَذْرِ وَكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ، وَإِنَّمَا الْفِقْهُ خَشْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: «لَا يَفْقَهُ الرَّجُلُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَمْقُتَ النَّاسَ فِي ذَاتِ اللَّهِ، ثُمَّ يَرْجِعَ إِلَى نَفْسِهِ فَيَكُونَ لَهَا أَشَدَّ مَقْتًا».

عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّهُ تَلَا: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ فَقَالَ: «الْعَالِمُ الَّذِي عَقَلَ عَنِ اللَّهِ أَمْرَهُ فَعَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَاجْتَنَبَ سَخَطَهُ».

عَنْ مُجَاهِدٍ رحمه الله قَالَ: «إِنَّمَا الْفَقِيهُ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ».

---

(١) إبطال الحيل لابن بطة (ص: ٥).

(٢) إبطال الحيل لابن بطة (ص: ١٣).

وعن ابْنُ مِسْعَرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "قُلْتُ لِسَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ: مَنْ أَفْقَهُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ».

قَالَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سَمِعْتُ بَعْضَ الْقُرَشِيِّينَ قَالَ: "إِنَّ كَمَالَ عِلْمِ الْعَالِمِ ثَلَاثَةٌ: تَرْكُ طَلَبِ الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ، وَمَحَبَّةُ الِانْتِفَاعِ لِمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْهِ، وَرَأْفَتُهُ بِالنَّاسِ".

وقَالَ أَبُو حَازِمٍ: "لَا يَكُونُ الْعَالِمُ عَالِمًا حَتَّى تَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ: لَا يَحْقِرُ مَنْ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ، وَلَا يَحْسِدُ مَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عَمَلِهِ دُنْيَا".

قَالَ الْحَسَنَ: "الْفَقِيهُ: الْوَرِعُ، الزَّاهِدُ، الْمُقِيمُ عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي لَا يَسْخَرُ بِمَنْ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَهْزَأُ بِمَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ حُطَامًا".

وقال الْحَسَنَ: "إِنَّمَا الْفَقِيهُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبُ فِي الْآخِرَةِ، الدَّائِبُ عَلَى الْعِبَادَةِ، الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ".

وعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: «الْفَقِيهُ، الْعَفِيفُ، الْمُتَمَسِّكُ بِالسُّنَّةِ، أُولَئِكَ أَتْبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ فِي كُلِّ زَمَانٍ».

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ يَعْقُوبَ قَالَ: «يُقَالُ إِنَّ الْفَقِيهَ كُلَّ الْفِقْهِ مَنْ فَقِهَ فِي الْقُرْآنِ وَعَرَفَ مَكِيدَةَ الشَّيْطَانِ».

وقال الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ: «إِنَّمَا الْفَقِيهُ الَّذِي أَنْطَقَتْهُ الْخَشْيَةُ وَأَسْكَتَتْهُ الْخَشْيَةُ، إِنْ قَالَ قَالَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَقَفَ عِنْدَهُ وَرَدَّهُ إِلَى عَالِمِهِ».

وقَالَ الشَّعْبِيَّ: "إِنَّمَا الْفَقِيهُ مَنْ وَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَالْعَالِمُ مَنْ خَافَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ".

وسُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَلْ لِلْعُلَمَاءِ عَلَامَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا؟ قَالَ: عَلَامَةُ الْعَالِمِ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَاسْتَقَلَّ كَثِيرَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِنْ نَفْسِهِ، وَرَغِبَ فِي عِلْمِ غَيْرِهِ، وَقَبِلَ الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ أَتَاهُ بِهِ، وَأَخَذَ الْعِلْمَ حَيْثُ وَجَدَهُ، فَهَذِهِ عَلَامَةُ الْعَالِمِ وَصِفَتُهُ، قَالَ الْمَرُّوذِيُّ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (أحمد بن حنبل) قَالَ: هَكَذَا هُوَ.

ثم قال: "قَدِ اقْتَصَرْتُ يَا أَخِي -صَانَكَ اللَّهُ- مِنْ صِفَةِ الْفَقِيهِ عَلَى مَا أَوْرَدْتُ، وَكَفَفْتُ عَنْ أَضْعَافِ مَا أَرَدْتُ، فَإِنِّي مَا رَأَيْتُ الْإِطَالَةَ بِالرِّوَايَةِ فِي هَذَا الْبَابِ مُتَجَاوِزَةً مَا قَصَدْنَا مِنْ جَوَابِ

الْمَسْأَلَةِ. نَعَمْ، أَيْضًا وَتَهْجِينٌ لَنَا، وَسُبَّةٌ عَلَيْنَا، وَغَضَاضَةٌ عَلَى الْمَوسُومِينَ بِالْعِلْمِ وَالْمُتَصَدِّرِينَ لِلْفَتْوَى مِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا، مَعَ عَدَمِ الْعَالِمِينَ لِذَلِكَ وَالْعَامِلِينَ بِهِ. فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يَمْقُتَنَا فَإِنَّا نَعُدُّ أَنْفُسَنَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْفُقَهَاءِ الْفُهَمَاءِ الْعَارِفِينَ، وَنَحْسَبُ أَنَّا أَئِمَّةٌ مُتَصَدِّرُونَ عِلْمًا وَفُتْيَا، وَقَادَةُ أَهْلِ زَمَانِنَا، وَلَعَلَّنَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْفَاجِرِينَ وَمِنْ شِرَارِ الْفَاسِقِينَ"(١).

وهكذا نجد هذه الآثار اشتملت على صفات العلماء الربانيين.

وقال الشيخ صالح بن سعد السحيمي: "**الراسخين في العلم الربانيين** لهم علامات:

فمن علاماتهم: **عدم التسرع** في الفتوى والتحري خوفاً من الله جل وعلا.

ومن علاماتهم: العمل بعلمهم والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة.

ومن علاماتهم: العناية بالتوحيد والعقيدة بادئ ذي بدء لا يقدمون عليها شيئاً، يعني يبدؤون بما بدء الله به يعني: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾.

ومن علاماتهم: أنهم لا يحبون الظهور، اللهم إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك عملاً على قاعدة: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾، إذا تعين عليه ذلك وخشي أن يتولاه الجهال والسفهاء.

ومن علاماتهم أيضاً: العمل بالسنة والاهتمام بالسنة، الاهتمام بسنة النبي ﷺ هذه من أعظم العلامات.

ومن علاماتهم أيضاً: اهتمامهم بالتأصيل في العلم يعني الاعتماد على الدليل، يعني اعتمادهم على الدليل من الكتاب والسنة في ما يفتون به أو يقولون به.

ومن علاماتهم: التواضع وعدم التكبر.

ومن علاماتهم: **وضوح دعوتهم**. يعني لا يدعون في الدهاليز وفي القيعان وفي الوهاد وفي الأودية وتحت الأشجار، يندسون عن الناس هؤلاء ليسوا بعلماء. وإنما هم أصحاب فتنة، أصحاب الكهوف (كهوف الجبال)، وأصحاب الدهاليز ليسوا بعلماء، بل هم أجهل من حمر أهلهم، فمن علامات العالم الرباني: وضوح دعوته.

---

(١) إبطال الحيل لابن بطة (ص: ٣٤).

ومن علاماته: محبة الخير للناس.

ومن علاماتهم: الجد والاجتهاد في الدعاء لولي الأمر، ومحبة الخير له ونصحه بالطرق المشروعة.

ومن علاماته: أنه لا يهتم بحظ نفسه ولو لم يحصل عليه.

ومن علاماتهم أيضاً: الصدق والوضوح في الطرح.

من علاماتهم: محبة الخير لإخوانهم المسلمين.

من علاماتهم: الإيثار والبعد عن حظوظ النفس.

هذه بعض علامات العلماء الربانيين الذين يؤخذ عنهم.[(١)]

وهي صفات جامعة، فالعالم الرباني: **حريص على الجماعة نابذ للفرقة**، كما قال الطحاوي رحمه الله: "وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زَيْغًا وَعَذَابًا".[(٢)]

وقال: "ونتبع السنَّة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة".[(٣)]

وَعَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ قَالَ: أَهْلُ الْبَاطِلِ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قَالَ: أَهْلُ الْحَقِّ لَيْسَ فِيهِمُ اخْتِلَافٌ.[(٤)]

وَرُوِيَ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ الشِّخِّيرِ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ كَانَتِ الْأَهْوَاءُ كُلُّهَا وَاحِدَةً لَقَالَ الْقَائِلُ: لَعَلَّ الْحَقَّ فِيهِ، فَلَمَّا تَشَعَّبَتْ وَتَفَرَّقَتْ عَرَفَ كُلُّ ذِي عَقْلٍ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَتَفَرَّقُ"[(٥)].

وهو رجاع إلى الحق إذا تبين له كما في كِتَابِ عُمَرَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ: «لَا يَمْنَعْكَ قَضَاءٌ قَضَيْتَهُ بِالْأَمْسِ رَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ فِيهِ إِلَى الْحَقِّ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَالرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ أَوْلَى مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ».

فالعلم: السنة والخشية.

والربانية: هي العمل بذلك العلم وتربية الناس عليه حسب حاجاتهم واستعدادهم وتحملهم.

---

(١) مفرغ من شريط صوتي.

(٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٨٥).

(٣) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٠).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٢٤) ١٧٥٣.

(٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٢١) ١٧٥٢.

«اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي بِدِينِكَ وَبِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مِنَ الِاخْتِلَافِ فِي الْحَقِّ وَمِنَ اتِّبَاعِ الْهَوَى وَمِنْ سَبِيلِ الضَّلَالَةِ وَمِنْ شُبُهَاتِ الْأُمُورِ وَمِنَ الزَّيْغِ وَالْخُصُومَاتِ»(١).

دورُ العلماءِ الرَّبانيين الرِّساليُّ نحو الأمَّة

مَنْ تأمَّلَ نصوصَ الكتابِ والسنةِ، وجالَ ببصرِه في سيرةِ العلماءِ الرَّبانيينَ من سلفِ هذه الأُمَّة، لاحَ له أنَّ دورَ العلماءِ الرَّبانيينَ يُعدُّ-بحقٍّ- أعظمَ رسالةٍ تُوجَّهُ للمجتمعاتِ البشريةِ، وهو ماثلٌ فيما يلي:

١- بيانُ الحقِّ، وتبليغهُ للنَّاسِ، وعدمُ كتمانهِ عنهم؛ وفي هذا المعنى العظيم يقولُ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

وقالَ جلَّ وعلا: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس:١٧].

٢- تصفيةُ العلمِ مِنْ لوثاتِ التحريف، وتنقيتهُ مِنْ شوائبِ التزييف؛ عملاً بحديثِ رسولِ الله ﷺ: «يحمل هَذَا الْعلمَ مِنْ كُلِّ خلفٍ عدوله، ينفون عَنهُ تَحْرِيف الغالينَ، وانتحال المبطلينَ وَتَأْوِيل الْجَاهِلِين»(٢).

٣- تعليمُ النَّاس ما يحتاجونَ إليه من علومِ الكتابِ والسُّنةِ، وتزْكيتُهم مِنْ منطلقِ هذا العلمِ الصحيحِ؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ؛ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ فَلَا يَبْتَدِعُونَ"(٣).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١١٧٩) وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: فذكره.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى برقم (٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني في المشكاة برقم (٢٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/٩٦).

وفي ذلك يقولُ الإمامُ ابنُ القيم رحمهُ اللهُ: "والعالمُ الَّذِي قد عرفَ السُّنةَ والحلالَ والحرامَ وطرقَ الخيرِ والشَّرِّ؛ ففي مخالطتهِ الناسَ وتعليمهم ونصحِهم في دينهم أفضلُ منَ اعتزالهِ وتفريغِ وقتهِ للصلاةِ وقراءةِ القرآنِ"(١).

٤- الدَّعوةُ إلى اللهِ؛ و إحياءُ شعيرةِ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، وقالَ جلَّ وعلا: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ...»(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقالَ تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦].

وقالَ عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣].

٥- إفتاءُ النَّاسِ، وبيانُ أحكامِ الشَّريعةِ لهم فِيما يُشكلُ عليهم منْ مسائلَ في حياتهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

٦- إسداءُ النَّصيحةِ للمسلمينَ وبذْلها لهم على اختلاف شرائحهم وكافَّةِ مستوياتهم؛ فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدِّينَ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٣).

---

(١) عدة الصابرين (٩٣/١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٣٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٩٥).

٧- توجيهُ النَّاسِ للحقِّ؛ وتثبيتُهم عليهِ؛ ولا سيما عند نزولِ الفتنِ العظيمةِ وحلولِ النوازلِ الجسيمةِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء:٨٣].

وقد جاءَ هذا المعنى العظيم في قصةِ قارونَ -أخزاه الله-؛ حيثُ وجَّهَ أهلُ العلمِ النَّاسَ في غمرةِ فتنةِ قارونَ نحوَ الوجهةِ الصَّحيحةِ؛ كما قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

وعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ. فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ اللهُ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ إِلَى قَوْلِهِ الشَّاكِرِينَ ﴾، وَقَالَ: وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا، فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ: وَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَدْ مَاتَ(١).

٨- جهادُ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤١٨٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨٨).

٩- التشاور مع أربابِ الفهم والعقل في حَلِّ المعضلات وعلاج المشكلاتِ؛ للوصولِ للحقِّ والصَّوابِ، والأصل في ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]، وقولُ الله تعالى: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران:١٥٩].

وعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الْأَجْنَادِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ. فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ وَلَا نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَا نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الْأَنْصَارَ. فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ. فَدَعَوْتُهُمْ فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلَانِ، فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ؛ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»، قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ.(١)

١٠- سياسةُ النَّاسِ في ضوءِ منهجِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ: إصلاحاً لفسادِ الأُممِ، وتجديداً لِما اندرسَ مِنْ معالِمِ الدِّينِ؛ كما قال تعالى في شأن أنبيائهِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، وقال تعالى حكايةً عنْ نبيهِ شعيبٍ عليهِ السَّلامُ: ﴿...إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وقال النبيُّ ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ :فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٣٩٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٢٦٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٤٨٧٩).

قال القاضي عياض رحمه الله: "ويعني بهذا الكلام: أنّ بني إسرائيل كانوا إذا ظهر فيهم فساد، أو تحريفٌ في أحكام التوراة بعد موسى بعث الله تعالى لهم نبيًّا يقيم لهم أمرهم، ويصلح لهم حالهم، ويزيل ما غُيّرَ وبُدِّلَ من التوراة وأحكامها"(١).

ويقول الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: "فَإِن هَذِهِ الأمة أكمل الأمم، وَخير أمة أخرجت للنَّاس، ونبيها خَاتم النَّبيين لَا نَبِي بعده، فَجعل الله الْعلمَاء فِيهَا كلما هلك عَالم خَلَفَهُ عَالم؛ لِئَلَّا تطمس معالم الدّين، وتخفى أعلامه، وَكَانَ بَنو إسرائيل كلما هلك نَبِي خَلفه نَبِي، فَكَانَت تسوسهم الأنبياء، وَالْعُلَمَاء لهَذِهِ الأمة كالأنبياء فِي بني إسرائيل"(٢).

---

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤/٤٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/١٤٣).